

كُتُبُ مَنَاهِجِ التَّحْقِيقِ عَرْضٌ وَتَقْيِيمٌ

الدكتور ماحي قندوز

جامعة تلمسان

توطئة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين: فقد سبق العلماء المسلمون غيرهم إلى وضع قواعد لتحقيق النصوص القرآنية والحديثية واللغوية؛ في القرون الأولى؛ وذلك للتثبت من صحة النص وعدم الكذب على الله أو على حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فمما كتب في تقنين قواعد التحقيق من المتقدمين: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ت 360هـ في كتابه "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت 463هـ في كتابه "الكفاية في علم الرواية"، والقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت 544هـ في كتابه "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع"... إلخ.

ومن المتأخرين: عبد السلام هارون في كتابه "تحقيق النصوص ونشرها" والدكتور صلاح المنجد في كتابه "قواعد تحقيق المخطوطات"، والدكتور الصادق عبد الرحمن الغرياني في كتابه "تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث"... إلخ.

ومع الهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي، كتب بعض المستشرقين عن التراث الإسلامي ومناهج التحقيق؛ ثم تلقف العرب والمسلمون هذه المناهج والطرق وطوروها وزادوا عليها؛ وكثرت كتب المناهج في الجامعات التي تدرس فن تحقيق التراث المخطوط، وكذا الدراسات المتخصصة، والكتب المطبوعة. وفي هذه المداخلة محاولة لتسليط الضوء على أهم ما كتب في مناهج تحقيق المخطوطات، وذلك بغرض تقويمها وإبراز الجديد الذي أتت به.

أولاً. تعريف مناهج التحقيق:

- أ. المناهج لغة: جمع منهج، وهو كالنهج، والمنهاج الطريق الواضح.¹
- ب. التحقيق في اللغة: الحق: نقيض الباطل، وحق الأمر يحقه حقاً: كان منه على يقين، واحتق القوم: قال كل واحد منهم: الحق بيدي، ونقول: حققت الأمر وأحققته إذا كنت على يقين منه.²

¹ القاموس المحيط للفيروزآبادي: ص 208.

² المصدر نفسه: ص 874.

ج. أما مناهج التحقيق في الاصطلاح: فهي الطرق التي يتبعها المحقق في إخراج كتاب مخطوط من عالم النسيان إلى عالم النور، على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في: عنوان الكتاب، اسم المؤلف، نسبه، علاقته بالكتاب المرغوب في تحقيقه، تحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة.¹

أو هي: السبل التي ينتهجها المحقق والباحث في إخراج المخطوطات ونشرها وتيسيرها للاستفادة منها، في الصورة التي أرادها لها مؤلفها، أو أقرب ما تكون إلى ذلك، ولا يدرك ذلك إلا بعناء، وصبر على البحث والتمحيص.²

والذي نقصده في بحثنا هذا بمناهج التحقيق أو المؤلفات في مناهج التحقيق؛ المؤلفات التي كتبها أصحابها في تعليم قواعد ووسائل التحقيق، وكيفية إخراج نص تراثي مخطوط من هيئته القديمة إلى مطبوعة تماثل أو تقرب من النص الذي كتبه صاحبه.

وقد كثرت هذه المؤلفات في زماننا، بين متوسع ومضيق، وبين من عاج جزئية بعينها أو جزئيات متعددة، كما أن المستشرقين كان لهم قصب السبق في التأليف في قواعد التحقيق مما سنستعرضه بعد حين.

ثانيا. المؤلفات في قواعد ومناهج التحقيق:

1. كتب المستشرقين: مع حلول القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي تطورت الخبرات في نشر المخطوطات إلى وضع أصول فنية وقواعد لتحقيق النصوص؛ رفعت هذه المادة إلى مستوى علم تحقيق المخطوطات.

ولقد كان للاستشراق دور كبير في عملية غزو العالم الإسلامي؛ فهو الذي مهد له بدراسة أحوال الشرق؛ وبالغزو الثقافي الذي سبق الغزو العسكري المسلح بمئات السنين.

وبدأ اهتمام المستشرقين بالتراث الإسلامي ونقله إلى الغرب بشق الطرق للاستفادة منه، وإبعاد أهله عنه، وتحقيقه وإخراجه، مع ظهور الطباعة في القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي، وكان عملهم لا يتعدى حدود الطبع البدائي، الذي كان يعتمد فيه غالبا على نسخة واحدة، وقد تكون غير مصححة ولا معتنى به فنيا. ثم تطور العمل، وأصبحوا يهتمون بجمع نسخ المخطوط الواحد، ومقابلة النسخ وتدوين الاختلافات في الهوامش، وأصبح التحقيق صناعة تعتمد على الخبرة المستفادة من التجارب المتكررة حتى حلول القرن الثالث عشر/ التاسع عشر الميلادي.¹

¹ تجرني مع التحقيق، د/علي موسى الشوملي: ص 01.

² تحقيق نصوص التراث في القدم والحديث، د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني: ص 7؛ وراجع أيضا: تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون: ص 42، وتحقيق التراث للدكتور عبد الهادي الفضلي: ص 36.

أما مؤلفات المستشرقين في مناهج تحقيق المخطوطات؛ فنذكر أهمها:

- أ. نقد النصوص/باللغة الفرنسية/ تأليف ب. كولمب، باريس 1931م. (La critique de texts)
 - ب. قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه، ترجمة د. محمود المقداد، دار الفكر. دمشق 1988م.
 - ت. أصول نقد النصوص ونشر الكتب: المستشرق برجستراسر، وهي محاضرات ألقاها بكلية الآداب بالقاهرة سنة 1932/1931م، قدم لها د. محمد البكري، طبعة دار الكتب 1969م.
 - ث. منهج العلماء المسلمين في البحث العلمي: فرانتزر وزنتال، دار الثقافة، بيروت 1961م.
2. كتب مناهج التحقيق عند العرب والمسلمين:
- لقد كثرة المؤلفات في مناهج التأليف عند العرب والمسلمين في العصر الحديث، ما بين بحوث مطولة ومقالات في مجالات علمية، وملتقيات متخصصة أو دورات تدريبية؛ وقد أحصى الأستاذ إياد خالد الطباع في مقدمة كتابه "منهج تحقيق المخطوطات" ما يزيد عن 24 كتابا ومقالة وبجنا في هذا الموضوع²، وتتبعها الدكتور عباس هاني الجراخ في مقال له بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، فوجدها أكثر من 120 مؤلفا ومقالة وبجنا³؛ ولا يمكننا في هذا المقام سردا جميعها؛ لذلك سنذكر أهمها:
- أ. تحقيق النصوص ونشرها: عبد السلام هارون، طبع مرارا، آخرها ط7، مكتبة الخانكي، القاهرة 1998م.
 - ب. قواعد تحقيق المخطوطات: صلاح الدين المنجد، نشر أولا في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ثم طبع مرارا في بيروت في دار الكتب وفي دار الكتاب الجديد.
 - ت. منهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: د/ رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، القاهرة 1406هـ، وله كذلك مقال "في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص" مقالة في المجلد الأول من مجلة المورد، سنة 1972م.
 - ث. منهج تحقيق النصوص ونشرها، د/ نوري حمودي القيسي، ود/ سامي مكي العاني، بغداد مطبعة المعارف، 1975م.
 - ج. ضبط النص والتعليق عليه، د/بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1982م.
 - ح. تحقيق التراث: د. عبد الهادي الفضلي، الطبعة الأولى مكتبة العلم جدة 1402 هـ.
 - خ. في منهج تحقيق المخطوطات: مطاع الطرايشي، طبعة دار الفكر، دمشق 1403هـ.
 - د. المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، د/محمد ألتونجي، عالم الكتب بيروت لبنان، 1986م.

¹ أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، د/يوسف المرعشلي: ص 223، تحقيق نصوص التراث في القدم والحديث، للغرياني: ص 65.

² منهج تحقيق المخطوطات، إياد خالد الطباع: ص 9 حتى ص 13.

³ مقال "ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية توثيق ودراسة"، د/عباس هاني الجراخ: ص 1 حتى ص 24.

ذ. تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره: د/ عبد المجيد دياب، منشورات المركز العربي للصحافة، القاهرة 1983 م.

- ر. مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، طبعة 1985 م.
- ز. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأصيل: د/ عبد الله عسيان، مكتبة الملك فهد 1415 هـ.
- س. تحقيق نصوص التراث في القدم والحديث: د/ صادق عبد الرحمن الغرياني، ليبيا، 1989 م.
- ش. منهج تحقيق المخطوطات، إياد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق سورية، ط1، 2003 م.¹

ثالثا. تحليل طبيعة كتب المناهج التي كتبها المستشرقون:

لقد استفاد المستشرقون في وضع محاضراتهم مما كتبه المتقدمون عنهم من قواعد لنشر الآداب اليونانية واللاتينية وآداب القرون الوسطى.²

ثم نقلوا هذه القواعد وطبقوها على الكتب العربية والشرقية؛ غير أنهم لم يؤلفوا في ذلك تأليفا خاصا؛ وكان الدكتور برجستراسر أول من ألف في ذلك، أخذ في الحسبان طبيعة المخطوطات العربية، واختلاف نسخها وتفاضلها.

وقد وضع في الخاتمة شروطا هي أقل ما يفعله المحقق، ممن يود نشر الكتب العربية حتى تكون موثوقة:

1. أن يكون عدد النسخ التي بنيت عليها النشرة كافيا بالنسبة إلى عدد النسخ الخطية المتوفرة.
 2. أن يصف المحقق النسخ التي استخدمها في نشر الكتاب وصفا يمكن القارئ من مراجعتها وتقدير قيمتها.
 3. أن لا يدع الناشر مجالا للشك فيما هو موجود في النسخة أو النسخ وأن يقابلها بعناية تامة.
 4. الامتناع عن تغيير النص وإسقاط شيء منه إلا بعد أن ينبه القارئ إلى ذلك.³
- والملاحظ على كتاب براجستراسر استكثاره من الأمثلة مما نشره المستشرقون، كما نلاحظ عدم إعطائه أهمية للتعليق على النص وتوضيحه.⁴

أما كتاب المستشرقين الفرنسيين بلاشير وسوفاجيه "قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها"، فجعلنا منهج التحقيق على شكل مقنن، مادة مادة.

قال الدكتور محمد حمدي البكري: "لا يشتمل/كتابهما/ إلا على قواعد مختصرة، ينقصها أمثلة توضحها من المخطوطات القديمة، وقد صرف جزء كبيرا من هذا الكتيب للعناية بقواعد ترجمة الكتب العربية على الفرنسية".¹

¹ للاستزادة راجع: منهج تحقيق المخطوطات، إياد خالد الطباع: ص 9 حتى ص 13، و مقال " ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية توثيق ودراسة" د/عباس هاني الجراخ: ص 1 حتى ص 24.

² قواعد تحقيق المخطوطات، لصالح المنجد: ص 07.

³ أصول نقد النصوص ونشر الكتب: ص 126 وما بعدها.

⁴ منهج تحقيق المخطوطات، إياد خالد الطباع: ص 15.

وقد اعتمدنا طريقة الاختصار في ذكر الإحالات والعناوين؛ مثل: العقد 3/45، واختصار بعض الألفاظ: رحمه الله/ رحمه، صلى الله عليه وسلم/ صلعم.²

إن مدرسة المستشرقين في العموم لا تميل إلى تخريج النصوص من مظانها، على الرغم من أن هذه المظان تعد نسخا ثانوية للأصل المنشور، فقد تقوم تحريفا، أو تصلح سقطا، إضافة إلى عدم اعتنائهم بتوضيح النص وفهمه للقارئ وشرح غريبه؛ بل يقدمون الكتاب كما يحسبون أنه يريد المؤلف، دون شرح لغريب أو تفصيل لمبهم.³

رابعا. تحليل طبيعة كتب المناهج التي دونها العرب والمسلمون:

1. اتفاهم على المعالم العامة في فن التحقيق؛ من حيث ضبط النص واختيار النسخ ومقابلتها وإعداد الفهارس.

2. ذكر الأمثلة العملية في بعض تحقيقاتهم وبحوثهم، وذكر بعض التصحيحات والتحريفات في بعض الكتب المحققة.⁴

3. يعتبر الأستاذ عبد السلام هارون أول من صنف في مناهج التحقيق، وتبعه الدكتور صلاح المنجد، وقد دار بين الرجلين من الكلام والرد ما دار، مما يطوى الحديث عليه.

4. وقد اختلفت الكتابات العربية في مناهج التحقيق شكلا ومضمونا وحجما وتوسعا وإيجازا. فمن حيث منهج الكتابة والتأليف؛ فبعضهم كان متأثرا بمنهج المستشرقين؛ كالدكتور صلاح المنجد، حيث تأثر بمنهج المستشرقين الألمان، وجمع مع منهج المحدثين في ضبط النصوص، وكان يرى عدم ضرورة التعليق على النصوص.

يقول رحمه الله: "إن هذه القواعد التي نقدمها غايتها توحيد طرق النشر، والتعريف به، وقد استقيناهما من نهج المستشرقين الألمان، ومن خطة جمعية غيوم بوديه، ومن قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل، أفدنا من ذلك كله، ومن العقبات التي مرت بنا أثناء نشرنا عددا من المخطوطات القديمة، ونحن ندعو المحققين إلى اتباعها ومناقشتها؛ فلعل في ذلك ما يدفع إلى توحيد طرق النشر الذي نهدف إليه".⁵

أما الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله فيقول في هذا الصدد: "ومن هنا كان من المستحسن ألا يترك المحقق الكتاب غفلا من التعليقات الضرورية، التي تجعله مطمئنا إلى النص، وثقا من الجهد الذي بذله المحقق في تفهم النص وتقدير صحته".⁶

¹ مقدمة تحقيق كتاب أصول نقد النصوص ونشر الكتب: ص 12.

² منهج تحقيق المخطوطات، إيداد خالد الطباع: ص 17.

³ المرجع نفسه.

⁴ منهج تحقيق المخطوطات، إيداد خالد الطباع: ص 13.

⁵ قواعد تحقيق المخطوطات: ص 08.

⁶ تحقيق النصوص ونشرها: ص 80.

أما من حيث طريقة تناول الموضوع؛ فبعضهم تناوله من منطلق التجربة الشخصية، مستفيدين مما وضعه المحدثون من قواعد؛ ككتابات عبد السلام هارون وصلاح الدين المنجد وعبد التواب رمضان، ومنهم من وضع منهج المحدثين أساسا لعمله؛ ككتاب "توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين"، للدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر.¹

أما من حيث المادة المدونة؛ فقد توسع بعض الباحثين في كتبهم؛ كصنيع الدكتور رمضان عبد التواب "مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين" وبلغت عدد صفحاته 436 صفحة.

ونجد أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق التراث موجزة ومختصرة في 22 صفحة، وأكثر منه وجازة القواعد التي وضعها المجمع العلمي العربي بدمشق في مقدمة تحقيق تاريخ مدينة دمشق، حيث لم تتعدى نصف صفحة. وتوسط البعض فجاء كتاب عبد السلام هارون شاملا في أبحاثه أهم ما يحتاجه الباحث في هذا الفن، مع تجربته في معاشته لتحقيق النصوص امتدت نحو خمسين عاما، أخرج فيها ما يزيد عن 110 كتاب ورسالة؛ كذلك فعل الدكتور عبد الرحمن صادق الغرياني وعبد الهادي الفضلي.²

5. تكرار النشر، فكثير من المقالات والكتب نشرت مرارا دون إضافة أو تنقيح؛ فمقال الأستاذ هلال ناجي "تحقيق عنوان المخطوط" نشر أربع مرات، ومقال الدكتور حاتم الضامن "المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات" سبق وأن نشره مرتين، في مقدمة بحثه: إسهامات العراقيين المعاصرين في تحقيق التراث، ثم في كتابه "بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص".³

6. وضع الأستاذ هلال ناجي أرجوزة شعرية في قواعد التحقيق، لم يسبق إليها كتبها سنة 1980م، وهي في 256 بيتا.

7. هناك أعمال هي اجترار وتكرار للأعمال السابقة، وليس فيها أي زيادة؛ كالذي كتبه الدكتور أسعد النجار مع أنه لم يمارس التحقيق، أو ما كتبه علي جهاد حساني، حيث ادعى أن التحقيق لم يمارسه العرب، ثم عاد فقال أن العرب مارسوه، ولم يذكر لدراسته مصادر ولا مراجع، وقام نوري شاكر الألوسي بنقل كتاب عبد السلام هارون مادة ومصادر وهوامش.⁴

8. أثبت جل المؤلفين تجاربهم في التحقيق والمصاعب التي واجهوها، ما يثبت اهتمامهم بكتاباتهم؛ لأنهم مارسوا التحقيق وعانوه وعرفوا أسرارهم ومظانهم، ثم كتبوا في مناهجهم؛ ومنهم من استدرك على نفسه في بعض ما

¹ منهج تحقيق المخطوطات، إباد خالد الطباع: ص 18.

² المرجع نفسه: ص 13، وص 18.

³ ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية توثيق ودراسة، د/عباس هاني الجراخ: ص 19.

⁴ المرجع السابق: ص 21.

وقع فيه من هفوات وزلات، كما فعل الدكتور بشار عواد معروف في كتابه "تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين وإصلاح الرواة والنساخ والمحققين".

9. الاختصار على موضوع محدد في التحقيق ومنهجه؛ من ذلك ما كتبه د/ محمد مولود المشهداني عن التصحيف والتحريف، ود/ شاكر محمد عبد المنعم عن كتب الأسماء والكنى والألقاب، ود/ حسين علي محفوظ عن التخريج، وأ/ نبيلة عبد المنعم عن تحقيق النسخ الفريدة، ود/ صالح مهدي عباس عن الفهارس، ود/ ناجي معروف عن التنقيط... إلخ.¹

لخاتمة.

بعد هذه الرحلة الممتعة بين كتب مناهج وقواعد التحقيق؛ على كثرتها وتنوعها واختلاف موضوعاته وحجمها؛ نصل إلى نتيجة مفادها أن تحقيق النصوص لا يرسو على قاعدة أو قواعد موحدة، بل هو مناهج متنوعة، ومدارس مختلفة؛ وعلى المحقق والمؤلف في هذا الشأن أن يطلع على كل ما كتب في هذا المضمار وأن يتخير منها ما يراه مناسباً لعمله.

وقد حاولت بعض المؤسسات المعنية بالتراث وضع قواعد وأسس مضبوطة، لكن الوفاق لم ينعقد عليها:

1. المجمع العلمي العربي بدمشق في مقدمة كتاب تاريخ دمشق؛ حيث جمعت لجنة من العلماء لوضع قواعد عامة تتبع في تحقيق مجلدات التاريخ.

2. اللجنة التي وضعت لتحقيق كتاب الشفاء لابن سينا.

3. التقرير الذي وضعه مركز تحقيق المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية.

والذي نراه صوباً هو أن يجتمع كبار المختصين في مجال تحقيق التراث ممن لهم قدم راسخة، والاتفاق على وضع معالم لخطة وقواعد تحقيق النصوص وإخراجها؛ والله أعلم.

المصادر والمراجع

1. أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، د/ يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

2. أصول نقد النصوص ونشر الكتب، بيرجستراسر، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، دار المريخ، الرياض السعودية، د ط / د ت.

3. تجربتي مع التحقيق، د. علي موسى الشوملي، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق العدد 104 السنة السادسة والعشرون - كانون الأول 2006 - ذو الحجة 1427

4. تحقيق التراث، د/ عبد الهادي الفضلي، مكتبة العلم، جدة، ط1، 1402 هـ.

¹ المرجع نفسه: ص20.

5. تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين وإصلاح الرواة والنساخ والمحققين، د/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009م.
6. تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون، مكتبة السنة، القاهرة مصر، ط5، 1414هـ/1994م.
7. تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.
8. القاموس المحيط للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، دمشق سورية، ط7، 1427هـ.
9. قواعد تحقيق المخطوطات، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط7، 1987م.
10. ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية توثيق ودراسة" د/عباس هاني الجراخ، مجلة مجمع اللغة العربية؛ دمشق، المجلد 82، الجزء الثاني.
11. محاضرات في تحقيق النصوص، هلال ناجي، ط1، 1994م.
12. منهج تحقيق المخطوطات، إياد خالدة الطباع، دار الفكر، دمشق سورية، ط1، 1423هـ/2003م.

• .	• ..
• .	• .
• .	• .

